السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس مارى الكرملى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٤ — السيرة أو السير لمخزن الحبوب فى بعض لغات الشرق

الأولى

ذكرنا بعض الألفاظ المقابلة لهذه الكلمة فى اليونانية ، واللاتينية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية ، فيحسن بنا الآن أن نذكر لها مقابلات فى بعض اللغات المبثوثة فى الشرق الأدنى .

فى التركية يسمى هذا المخزن (كندوج) بالفتح وقد نقلوها من الفارسية (كندو[1]) بالفتح . « شىء يبنى كهيئة الدن ، فيجعل فيه الدقيق وغيره ، وهى فى التركية الكنجا كية . وأما الترك الصميم فيقولون : كَنْدُك ، بفتح الكاف وإسكان النون وضم الدال المهملة وفى الآخر كاف . وقد توسعوا فى معناها حتى أطلقوها على كل صبرة عظيمة من الطعام يصوم ويصمد حتى يظهر للناظر إليه كأنه دن كبير موضوع على وجه الأرض ، فسبب التسمية واضح ، فما الكندوج أو الكندك الآدنّ كبير أو كما يسميه الغربيون (سيلو) .

وقد قال صاحب محيط المحيط بهذا الصدد ما هذا نصه بأصله : « الكندوج [وقد ضبطها ضبط قلم بالضم] شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها . معرب كندو بالفارسية » انتهى .

وهو ترجمة نصّ فريتغ ترجمة غير مضبوطة وهذه عباراته بحروفها اللاتينية :

Structura, in puam recondvnt (كَنْدُو Pers) res, ei similis, puam مخزن Appellant. Karr كَنْدُوج Vasa a liasve

ومعناها على ما يبدو لى : الكَندوج[2] بناية على هيئة مخزن تحفظ فيها « الآنية وسائر الأشياء » انتهى . فالظاهر من هذا الكلام أن فريتغ لم يفهم كلام صاحب القاموس ، فأساء فهماً وأساء نقلاً ثم أخطأ كل من جاء بعده نقلاً عنه . وعلى أثره أخطأ جميع اللغويين المحدثين من العرب وجماعات المستشرقين النقلة ، وليس لنا متسع لإظهار شوائبهم ومعايبهم فهى أكثر من أن تحصى . فتكتفى بما نقله الشرتونى فى أقرب الموارد . قال : الكُندوج (وضبطها) بالضم جرياً على القياس اللغوى لا على السماع[1] والنقل على حد ما فعل صاحب المصباح وهو ليس حجة يعتمد على لغته الفصحى لأن لغته عربية فقهية وهى عثرة فى طريق المحققين : شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها (معرّب) وفى المصباح : « ويطلق على الخزانة الصغيرة »

وقال صاحب البستان : الكندوج (وضم الأول أيضاً) : شبه مخزن من تراب أو خشب تحتكر فيه الحنطة دخيل (ه ـ قلنا وقوله : تحتكر تغيير لقول الشرتونى « توضع فيه » وهذا هو الصواب لأن الغاية من وضعه فى الكندوج حفظه من الآفات الجوية لا الاحتكار وهذا وهم منه ، فأراد أن يغير عبارة الشرتونى فى نصها ويحسّنها ليبيّن تفوّقه عليه أو اختلافه عنه فاضرّ نفسه إذ لم يخفَ على أحد نقله وفساد معناه .

ووردت فى معنى مخزن الطعام فى الكردية : چال وچالو وچاله . ونكتفى بهذا القدر .

٥ — المطمورة بمعنى مخزن الطعام

نظن أننا وفينا موضوع (السيرة) و (والسير) حقه من البحث . بقى علينا أن نعالج موضوع (المطمورة) وقبل أن نعرفها ، نقول للواقفين على مقالنا هذا : إن المطمورة وردت بمعنيين : معنى ذكرته كتب اللغة ومعنى أهملته ، فنبدأ بذكر الأول فنقول :

المطمورة على ما ورد فى القاموس : « الحفيرة تحت الأرض » وزاد فى التاج : يوسع أسافلها ، تخبأ فيها الحبوب . والجمع المطامير : وطمرتها أنا : « ملأتها » ـ والكلمة قديمة فى لغتنا الشريفة وهى فى العراق من أقدم الألفاظ على ما نعهد . وقد ذكرها الليث

(١) وهى فى أصل معناها على ما فى كتاب (ديوان لغات الترك ، لمحمود بن الحسين بن محمد الكاشغري الذى ألفه سنة ٤٦٦ للهجرة والمطبوع فى المطبعة العامرة فى دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٣ هـ الجزء ١ : ٣٩٩)

(٢) وهى مضبوطة بالفتح ، وهذا هو الصحيح الوارد فى جميع نسخ القاموس المخطوطة المضبوطة ضبطاً . والبناية قد تكون من الخشب أو من الترابب بالقنة اللاتينية كما فى العربية

(١) مما حفظنا وارداً على فعول للمفتوح الأول ، نقلا عن الأئمة الأثبات الثقات — وهى مدونة فى معاجم اللغة : صعفوق ، وترنوق ، وصعفول ، وطرخون ، وبرشوم ، وقربوس (على لغة) : وبعكوك ، وكرموس ، وصندوق (على لغة) وسنطور ، وسنطور ، وقرقوف ، وطرخون ، وزرنوق ، وزرزور — ومن الأعلام : شمخون ، وسنهور ، وسعدون ، وخلدون ، وعبدوس ، وشمخون ، وعبدون ، إلى غيرها

فى عينه فقال : « المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ (ج) مطامير . وكل من جاء بعد الليث وألف كتاباً فى اللغة نقل هذه العبارة ولم يعزها إلى قائلها الأول وهى نفس العبارة التى أخذها عنه الزمخشرى فى كتابه (مقدمة الأدب) فى ص٢٣ من نسخته المطبوعة وهذا نصها : (للطمورة : جاء . غلّه وفى النسخة المحفوظة فى الخزانة البدليانية فى مدينة اكسونية زيادة هى : المطمورة حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ . ج : مطامير » ٥١

وأهل العراق يُسمُّون بالمطمورة كل ما يتخذ لحفظ الطعام فيه ، إن كان فى بطن الأرض ، وإن كان على وجهها ، فهى كاللفظة الإفرنجيـة Silo تتخذ للدلالة على المعنيين أى بمعنى السرداب فى بطن الأرض والمخزن الذى يبنى على ظهرها . وهى عامة الاستعمال فى شمال العراق إلى جنوبيه ، ولا ينطقون بغيره ، فإذا كان لحفظ الغلة فى بطن الأرض كان الموطن مهيأ دائماً . أما إذا كان فوق الصعيد فإن أصحابه يجعلونه جرة عظيمة ، ثم يسنمونها على هيئة مخروط ثم يسيّمونها ويصمدونها ، حتى إذا نزلت بها نوائب الجو من مطر وثلج وبرد ورياح قاومتها أحسن مقاومة ودفعت أضرارها على أتقن وجه وأسدّه

فتسمية أبناء الرافدين هذين الضربين من مخزن الطعام لا غبار عليه وإن اختلفت هيئتهما لأن أصل التسمية صار يقع على معنى « المخزن » الحافظ للغلة ، أيّاً كان شكله . ولهذا فالعراقيون يحتفظون بهذا الاسم لقدمه عندهم ، ولصحة عربيته ، ولبقاء الأسماء على مسمياتها وإن اختلفت صورها وأشكالها وكيفية اتخاذها

وأهالى شمالى العراق يسمون مخزن الطعام على وجه الأرض اللوث ، وتلفظ بالفتح أى Loth ويجمع على ألواث على ما أفادنى ولدى بالروح (ميخائيل حنا عواد) وهو من نوابغ الشبان ، ويصنع بأن تحفر دائرة فى الأرض عمقها بين ١٠ و ١٥ سنتمتراً تسع الكمية الموجودة عند صاحب الطعام ، ثم تكدس النلات شيئاً على شىء من تبن أو شعير أو حنطة وتجمع على هيئة مخروط ويُسيّع خارجها ويصمد ، حتى إذا جاءت الأمطار وانحدرت عليها ولت فى وجهها بسرعة من غير أن تبقى فيها أثراً . والذين يكدسون الأطعمة على وجه الأرض من حنطة أو شعير يكونون أرباب حول وطول ، ولهم نواطير أقوياء يذبون عنها اللصوص والسراق . وأما الذين لا نواطير لهم فيجعلونها فى چالات (جمع چال) يحفرونها فى الأرض ويقيدونها بالقار الحسن منعاً لتسرب الماء والرطوبة إليها وچال (ويقال چاله وچالو) كردية معناها هذه الحفيرة

واللوث من أصل عربى فصيح معناه فى أصل وضعه : القوة والشدة لأن جمعك الشىء على الشىء الآخر تعصبه وتشده ، ومن هذا أيضاً قولهم : هذه ناقة ذات لوثة إذا كانت كبيرة الشحم واللحم معصوبة مشدودة ولا يمنعها ذلك من السرعة فهى صفة حسنة لها

وقد ذكر لى ولدى ميخائيل أن بعض المزارعين فى أنحاء بغداد يسمون (المطمورة) التى تقام على سطح الأرض (جبراية) والجمع جبارى . وأما الذين فى أرجاء تكريت فيسمونها جبريّة وزان قبطية . وأما أهل ديار المنتفق فى جنوبى العراق فينطقون بها على أصلها الفصيح بالميم ، أى أنهم يقولون (جَمْريّة) وهى من مادة (جمر) أى جمع شيئاً على شىء ، ورفع رأس المجموع . وهذا التحقيق من وحى المؤرخ المحقق الأستاذ يعقوب نعوم سركيس حفظه الله ورعاه

ومما ذكره لى ولدى بالروح ميخائيل عواد أن لأهالى تكريت ومن فى أنحائها لفظاً آخر لهذه المطمورة هى (اللّود) وتلفظ Lod وتجمع على ألواد ، والهمزة لا تكاد تلفظ وكأنك تلفظها باسكان اللام وهى عندهم غرفة مستطيلة أو مربعة يخزن فيها التبن وأحياناً الحنطة والشعير ولا تكون مسقوفة فى أغلب الأحيان ، وتكاد تكون أرضها بمستوى سطح ما يجاورها من الأرضين أو ما انخفض عنه بقليل . و (اللود) يعرفها بهذا اللفظ وهـذا المعنى أعراب ثمر من عشائر العراق وتشبه كل الشبه (اللوث) المار ذكرها والمستعملة فى الموصل وأرجائها . ولعلها لغة فيها ، وقد ورد مثل هذه اللغة عند كثيرين من الأقدمين فقد قالوا : مدد الخبز ومرثه . وقالوا : الشِيث تعريب الفارسية شِيد وقد قلبت الواو ياء والدال المهملة الفارسية ثاء مثلثة

٦ — المطمورة بمعنى السجن والمحبس

وأشرنا إلى أن للمطمورة معنى آخر ، لم يرد فى معاجم اللغة وكان معروفاً فى القرون الوسطى أى فى عهد العباسيين ، بموجب التعبير العربى . وهذا المعنى هو السجن المظلم يسجن فيه المحكومون عليهم بالحبس الأبدى وورد أيضاً بمعنى جب عميق مغطى بغطاء ينقلب للحال بمن يطأه تخلصاً منه بسقوطه فيه وموته فيه حياً

جاء فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى فى ٣ : ٢٢٠٧ فى طبعة الإفرنج ما هذا نقله : « وفى يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى ، دخل المكتفى إلى داره بالحسنى ، فلما صار إلى منزله

أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم » . انتهى

وفي مروج الذهب (٨ : ٢١٥ من طبعة الإفرنج) : « وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس وإطلاق من كان محبوساً فيها ، وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها وفرق فيهم أموالاً »

ويخيّل إليّ أنه كان في العراق وديار الشام ووادي النيل وسائر البلاد الشرقية مطامير مختلفة العدد وقد اتخذت في قرى عديدة حتى أن بعض القرى بقي اسم المطامير عليها لاشتهارها بها وإن زالت عنها . وقد جاء في معجم البلدان لياقوت : « مطامير جمع مطمورة ، وهي حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هيء خفياً يطمر فيه الطعام أو المال ، إسم قرية بحلوان العراق ، وذات المطامير بلد بالثغور الشامية له ذكر في كتاب الفتوح . . . ويقال له : المطامير أيضاً غير مضاف »

وفي كتاب الأنساب للبلاذري بعد أن ذكر إلى أي ضيعة نسب أبو محمد المطامري قال : « وتوفي في جمادى الآخرة سنة ١٦٣هـ ، وكان فتوحها على ما قال الطبري (٢ — ١٦٦٧) سنة ١٢١هـ على يد مسلمة بن هشام بن عبد الملك » فيظهر من هذا أن العرب كانوا يعرفون المطامير واتخاذها للطعام وللسجن قبل الإسلام ، على ما يرى في استعمالهم لتلك الأسماء

ولما مر ابن بطوطة في المائة الثامنة للهجرة = ١٤ للميلاد بنذربار من ديار الهند رأى أن كل مسلم يشرب الخمرة يحد ثمانين جلدة ويسجن في مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين طعامه » (راجع رحلة ابن بطوطة طبع الإفرنج ٤ : ٥٢)

ومن يطالع في معجم دوزي ما جاء على المطامير منقولاً عن المسافرين والكتبة يتحقق أن المطامير كانت في جميع ديار الشرق الأدنى لغايات مختلفة فلتراجع فيه إذ قد ضاق بنا الوطن عن هذا البحث الجليل

أما من يحب أن يتابع في تصانيف الإفرنج هذا الموضوع فعليه بمطالعة ما جاء باسم Oubliettes الإنكليزية وبعنوان Oubliette بالفرنسية فيقع على حكايات وتفاصيل في غاية الغرابة والعجب والاستفادة . ثم كتب عديدة تبحث في هذا الموضوع

٧ — مترادفات المطمورة ومقابلها في لغات الأمم الشرقية

رأينا العراقيين لا يستعملون إلى اليوم إلا لفظة واحدة هي (المطمورة) والآن أخذ بعضهم ينبذون استعمال هذه اللفظة ظناً منهم أنها عامية وأخذوا يستعملون في مكانها (الهُرّى) ويجمعونها على (أهراء قلنا : إنهم في ضلال مبين ، لأن المطمورة وردت في جميع كتب الفصحاء التي تكلمت على أمثال هذه المخازن ولم تهملها . وثانياً لأنها صحيحة الاشتقاق من لفتنا المحضة وثالثاً لأن المطمورة استعملت لمخزن الطعام الذي تحت الأرض ، ولما فوق الأرض . . قال في النهاية في مادة (ط م ر) « وفي حديث مطرف : من نام تحتّ صدف مائل وهو ينوي التوكل فليرم نفسه من طمار وهو ينوى التوكل : طمار بوزن قطام : الموضع المرتفع العالي . وقيل : هو اسم جبل ، أي لا ينبغي أن يعرض نفسه للمهالك ويقول : قد توكلت . انتهى كلام ابن الأثير فهنا نص واضح على أن مادة طمر تفيد الدفن والحبس وتفيد أيضاً العلوّ والارتفاع ، فصحّتْ إذن المطمورة للاستعمالين .

ورابعاً أن الهرى يقابل الإفرنجية Grange والإنكليزية Granary فهو إذن غير المطمورة .

خامساً أن الهرى ليست عربية بل لاتينية Horreum ومعناها كما هو في العربية أي البيت الكبير يجمع فيه طعام السلطان فليست إذن بالمطمورة وهل نبدل الصحيح الفصيح بالخيل القبيح ؟

وقد ذكرنا سابقاً ما يقابل مخزن الطعام في الأرض في الفارسية والتركية والكردية . وأما في الإرَميّة (السريانية والكلدانية فالمطمورة تسمى (مطمورتا) وتجمع على (مطموريانا) كما هو مدون في معاجمهم المعتمدة ومعناها المخبأة أيضاً

٨ — خلاصة هذه المقالة وزبدتها

خلاصة هذه المقالة وزبدتها : أن اللفظة الغربية (سيلو Silo) من أصل عربيّ هو (سَيْر) بالفتح ، أو (سيرة) بالكسر ، ثم نقل إلى الأوربية باللام ، على لغة كانت لبعض قدماء العرب ينطقون بالراء لاماً في كثير من الألفاظ . ولا تزال تسمع مثل هذا الإبدال إلى عهدنا هذا ، ولا سيما في ديار العراق

ولقد وجدنا أجمل لفظة تستعمل اليوم بمعناها هي (المطمورة) لأنها خالية من معنى ثان يشوشها ، ولأنها عربية صميم لا غبار عليها ، ولأنها مستعملة في العراق منذ عهد العباسيين ، بل قبل وجودهم فيه ، ولأن كل كلمة سواها كثيرة المعاني تفسد المعنى الرئيسي الأصيل ، ولأن (الصومعة) وجمعها (صوامع) لا ينجلي لأبصار الأدباء إلا بمعنى مسكن الراهب أو ما يشبهه . فما بقي علينا إلا أن نتبع الفصيح الممتنع الذي قاوم الأدهار ، وصبر على فساد الأشرار ، ووبلغ إلينا سالماً من كل الأخطار !

(بغداد) الأب انستاس مارى الكرملي